

تفسير ابن كثير

يُخبر تعالى عن عدله وكرمه أنه لا يساوي في حكمه يوم القيمة من كان مؤمناً بآياته متبعاً لرسله بمن كان فاسقاً أي خارجاً عن طاعة ربِّه مكذباً لرسل الله إليه كما قال تعالى : { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَّحْيَا هُمْ وَمَمَّا تَهْمَمُ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ } وقال تعالى : { أَمْ نَجْعَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلَ الْمُتَقِينَ كَالْفَجَارِ } وقال تعالى : { لَا يُسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ } الآية ولهذا قال تعالى هنا { أَفَمِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمْنَ كَانَ فَاسِقًا لَا يُسْتَوِونَ } أي عند الله يوم القيمة وقد ذكر عطاء بن يسار والسدوي وغيرهما أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط ولهذا فصل حكمهم فقال { أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } أي صدق قلوبهم بآيات الله وعملوا بمقتضها وهي الصالحة { فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى } أي التي فيها المساكن والدور والغرف العالية { نَزْلًا } أي ضيافة وكراهة { بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا } أي خرجنوا عن الطاعة فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعادوا فيها كقوله { كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمْ أَعْيَدُوا فِيهَا } الآية قال الفضيل بن عياض : وإن الأيدي لموثقة وإن الأرجل لمقيدة وإن اللهب ليرفعهم والملائكة تعمهم { وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ } أي يقال لهم ذلك تقريراً وتوبيناً .

وقوله تعالى : { وَلَنْذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنِيِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ } قال ابن عباس : يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه وروي مثله عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن وإبراهيم التنجي والمضاك وعلقمة وعطية ومجاهد وقتادة وعبد الكريم الجزري وخصيف وقال ابن عباس في رواية عنه : يعني به إقامة الحدود عليهم وقال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة : يعني به عذاب القبر وقال النسائي أخبرنا عمرو بن علي أخبرنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص و أبي عبيدة عن عبد الله { وَلَنْذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنِيِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ } قال : سنون أصابة لهم .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد : حدثني عبد الله بن عمر القواريري حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن عروة عن الحسن العوفي عن يحيى الجزار عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب في هذه الآية { وَلَنْذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنِيِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ } قال : القمر والدخان قد مضيا والبطشة واللزام ورواه مسلم من حديث شعبة به موقوفاً نحوه وعند البخاري عن ابن مسعود نحوه وقال عبد الله بن مسعود أيضاً في رواية عنه : العذاب الأدنى ما أصابهم من القتل

والسيي يوم بدر وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم قال السدي وغيره : لم يبق بيت بمكة إلا دخله الحزن على قتيل لهم أو أسير فأصيروا أو غرموا ومنهم من جمع له الأمران .

وقوله تعالى : { ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها } أي لا أظلم ممن ذكره الله تعالى وبينها له ووضاحتها ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها قال قتادة : إياكم والإعراض عن ذكر الله فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغررة وأعور أشد العوز وعظم من أعظم الذنوب ولهذا قال تعالى متهددا لمن فعل ذلك { إننا من المجرمين منتقمون } أي سأنتقم منك أشد الانتقام وروى ابن جرير : حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا محمد بن المبارك حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله عن عبادة بن نسي عن جنادة بن أبي أمية عن معاذ بن جبل قال : [سمعت رسول الله يقول : ثلاثة من فعلهن فقد أجرم : من عقد لواء في غير حق أو عق والديه أو مش مع طالم ينصره فقد أجرم] يقول الله تعالى : { إننا من المجرمين منتقمون } ورواه ابن أبي حاتم من حديث إسماعيل بن عياش به وهذا حديث غريب جدا